الوحش

تمتد خيوط الشمس ذهبية عبر نافذة المستشفي المغلقة واستقرت أشعتها بحنان علي وجه زينب الشاحب ... ترقد في فراشها بلا حراك. أضناها الوهن وأرهقها دفع مولودها لساعات. الأطباء زمرة يتجولون بالرواق. الممرضات يتهامسن بالقرب منها. طفلها راقد مستقر إلي جوارها ينتظر. ينتصف النهار وزينب لا تفيق. تهذي بكلمات غير مفهومة. تبكي ثم تعاود النوم. الممرضات يأتينها بالسوائل يبللن شفاهها وشفاه وليدها. يتبادلن نظرات الأسي ثم يتركنها ويذهبن لعملهن.

حل موعد الزيارة .... تضج المستشفي بالمهنئين. في الأسِرة المجاورة ترقد الضحكات، تتسرب اليها روائح الحلوي والورود مختلطة بالفرح وكلمات التهاني. يضيق سُباتها بضحكات أب يزهو بصوته، مؤذنا لوليده بأُذنه اليمني. منتشياً بصراخ الوليد يدفع بقطعه نقدية إلي الممرضات المحيطات بزوجته، كفراشات يعدن لها وسط غمزاتهن وضحكاتهن ترتيب الفراش.

تمضي ساعات الزيارة بطيئة وزينب لا تفيق. تطفو روحها فوق جسدها الممدد بلا حراك تتأمله.

تنظر إليه بإشفاق. الوجه شاحب والجسد مرتمي فوق الفراش. النبض باهت كنبض وليدها بالكاد يصمد. يداها مكبلتان بطرف الغطاء. تتحرر روحها. تطوف كزفير زهر حول الفراش. يثير أهل الجوار فضولها خفيفة شفيفة. تتجول هائمة بين الأسِرة لتندس بينهم وتضحك معهم. ترتمي فوق الأم المتدللة. تتلقي التهاني والقبلات معها. ترفع الأم صغيرها بحنان إلي صدرها. يبدو حليبها ببياض وجه زينب. يؤلمها صدرها فتتراجع لطرف الفراش. الوليد بصدر أمه يسكن قابضا بكفه الصغير علي أصبعها.

تري زينب بوجه الأم الراضي أمها الجميلة بمنديلها الأبيض، وثوبها الريفي الدافئ. تبدو سمرتها الناعمة كما هي حين رأتها أخر مرة. كانت ذاهبة ككل صباح بين رفيقاتها للمدرسة. عادت زينب بموعد الغذاء لتجد النسوة المتشحات بالسواد يرقدن بمدخل الدار يهذين بكلمات. تتقلب زينب وتئن. يؤرقها صوت الممرضات بجوار فراشها يتهامسن. ينظرن للطفل الساكن بإشفاق. يبللن شفاهه بقطرات الحليب. يعدن الغطاء فوقه.

ترفع زينب الغطاء وتتحسس وليدها. تتحسس يديه وأرجله المشوهة ورأسه المنبعج ثم تعيد الغطاء .. يمضي الليل وزينب تهذي بالحمى والممرضات حولها ببياضهن ... مع نسمات الصباح الأولي يأتيها زوارها ... تشعر زينب بوخزات بذراعها، بطنها يتمزق، تتلوي بالفراش. الزوار يتهامسون بكلمات كتلك الكلمات... يبكي الصغير الراقد إلي جوارها مغطي الوجه واليدين. تحمله إحدي النسوة المتشحات بالسواد وتُحكم حوله الغطاء فيزداد بكاؤه ... في اللحظة نفسها ... تنتفض زينب منتصبة تحمله. تفك وثاقه وتقذفه إلي صدرها ... يتفجر ينبوع بين شفتيه.

تنطلق أولي دمعات الأمومة حارة من عيني زينب. تاركة الغطاء للزوار. تقبل زينب صغيرها وتؤذن له بأذنه اليمني ..